

بسم الله الرحمن الرحيم

الحراك الاجتماعي واثره في النسيج الحضري

د. صبيح عبد الحسين الجليبي

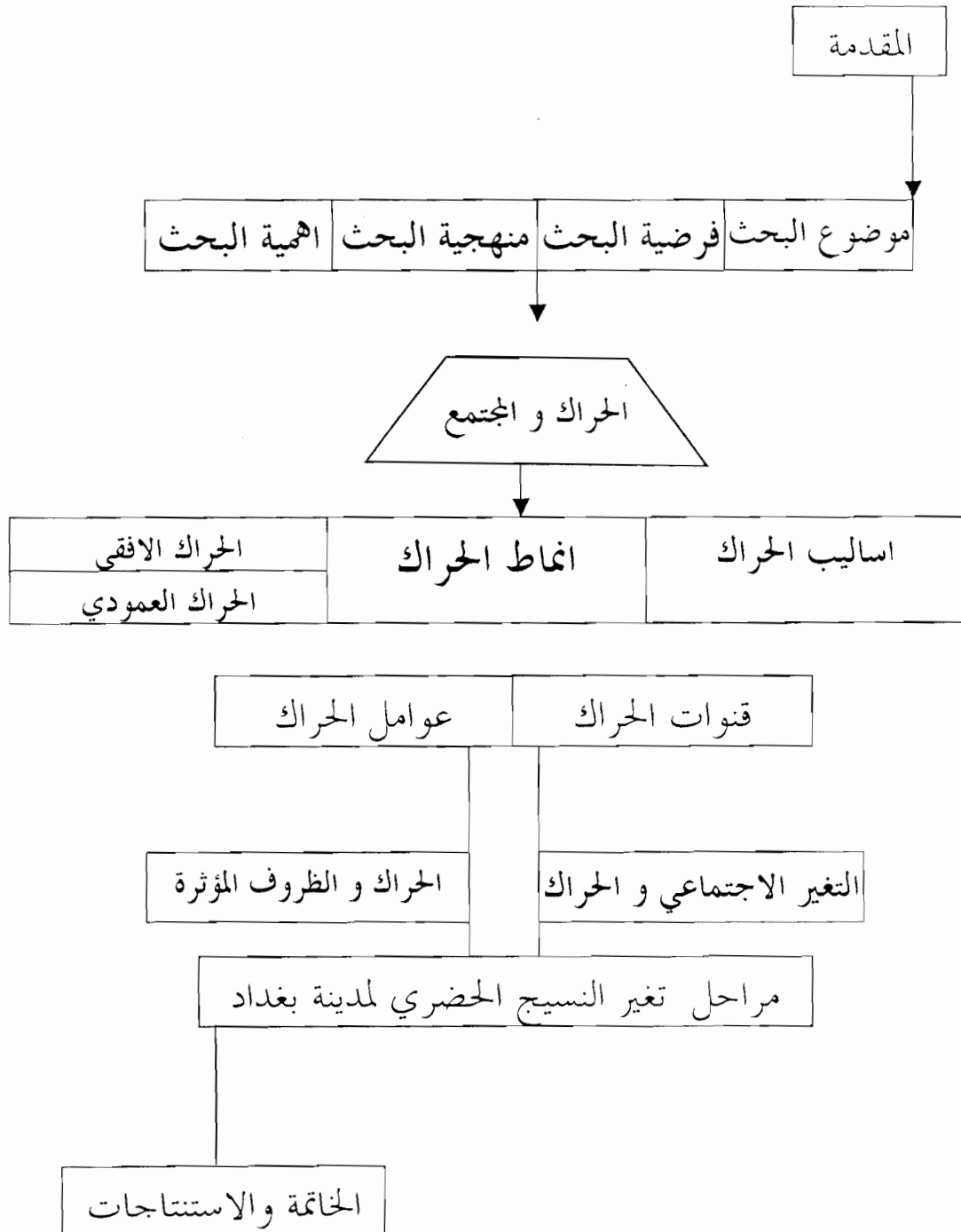
المقدمة:-

لا تقتصر عوامل التغير في بنية النسيج الحضري لمدينة بغداد على العوامل الاقتصادية والادارية فقط ، وانما تتعداها وبشكل واضح الى العوامل الاجتماعية الاكثر فاعلية احيانا في تغير معالم البناء الهيكلي للمدينة ، فظاهرة الحراك الاجتماعي العمودي والافقي وبالتالي التدرج الاجتماعي او التراتب ادى الى نشوء الاحياء الجديدة اولا واكتسابها لطابع جعلها تختلف عن غيرها من الاحياء ويكاد ان يكون طابعاً ذا بعد طبقي فاصبحت لكل حي خصائص اقتصادية واجتماعية تميزه عن غيره من الاحياء، وافرز الحراك الاجتماعي ظاهرة الاحياء الفقيرة او المتخلفة (Slums) وان تجارب التصاميم الاساسية التي شهدتها مدينة بغداد استجابة لمثل هذه التغيرات الاجتماعية التي عاشتها قد غيرت النظرة الى المهن بتغير دخول اصحابها وتغيرت تبعاً لذلك مكانه الافراد الاجتماعية بسبب زحف هذه الفئات من مواقع الاحياء القديمة الفقيرة الى مواقع افضل منها واكثر غنى ، ان الفضل في ذلك يعود الى طبيعة مجتمع المدينة المفتوح الذي لا يقف عائقاً بوجه الانتقال من موقع اقتصادي الى اخر ومن ثم الى موضع اجتماعي جديد ، لان التركيب الطبقي لمجتمع مدينة بغداد لم يكن صلباً اولا ، وليس بالمعنى الطبقي المعروف في الدول الصناعية ثانياً ، وهذا يرجع الى ارجحية كفة الاعراف الاجتماعية المرنة من ناحية ، و لتسامح الدين الاسلامي في هذا المجال بل ولتشجيعه في التغير نحو الافضل .
(لا يغير الله ما يقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) صدق الله العظيم

لذلك فان التصاميم الاساسية لمدينة بغداد حاضرا ومستقبلا لابد وان تظهر تأثير هذا المتغير المستقل المهم ، والا فان القصور سيبقى ملازماً لها ، وستكون ظاهرة عدم الاهتمام بالحراك الاجتماعي معوقة لالية تنفيذ التصاميم الاساسية لمدينة بغداد .

مركز التخطيط الحضري و الاقليمي للدراسات العليا / جامعة بغداد

هيكلية البحث



موضوع البحث:-

يلعب الحراك الاجتماعي بوصفه متغيراً تفسيرياً نظرياً دوراً مهماً في دينامية النسيج الحضري للمدن ، وبوصفه متغيراً مرتبطاً وواقعياً ، وان العلاقة بينهما علاقة سببية احتمالية ، والحراك الاجتماعي هنا ضمن المجتمع البغدادي.

فرضية البحث:-

كلما تسارع وتأثر الحراك الاجتماعي (المفتوح) ، كلما تعرض النسيج الحضري لمدينة (بغداد) الى التغير والتعديل.

منهجية البحث:-

البحث نظري - مكتبي - اكايمي اعتمد الوثائق الرسمية الخاصة بالتصاميم الاساسية لمدينة بغداد ، و المخططات الاساسية لها. وانتهج الاسلوب التخطيطي التحليلي الاستقرائي.

اهمية البحث:-

تتجلى اهمية البحث في محاولة الربط بين احد المتغيرات الاجتماعية ذي المساس بالبيئة الاقتصادية للمجتمع العراقي و بين المخططات الاساسية للمدينة المدروسة كاستجابة واعية وواقعية.

مفهوم الحراك الاجتماعي:-

يراد بالحراك الاجتماعي تغير الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية ، وما يترتب على ذلك من تغيير المكانة في السلم الاجتماعي.

ويراد به كذلك الانتقال من موضع اجتماعي الى موضع اخر افضل منه بالعكس ، ويعرفه عالم الاجتماع (بتريم سرركن) بأنه : عملية انتقال الافراد في المجال الاجتماعي ويرتبط الحراك الاجتماعي بالتغيير الاجتماعي فضلاً عن التغيير الاجتماعي يرتبط بالاضبط الاجتماعي ، ويمكن ان ينظر للحراك الاجتماعي باعتباره التغيير الخارجي لعملية التغير ، وبعبارة اخرى اذا لم يكن هناك تغير في الموضوع فاننا لانستطيع ان نتكلم عن الحراك ، ومن هذا المنطلق فان الحراك الاجتماعي تغير في الوضع الاجتماعي للفرد او الهدف الاجتماعي ، او القيمة الاجتماعية ، او أي شيء يمكن ان يخلق او يعدل او يقود الى وضع اجتماعي اخر عن طريق النشاط الانساني ولا حراك بلا تغيير ، واخيراً فان الحراك الاجتماعي ظاهرة اجتماعية حضارية تختلف وظائفها باختلاف انماطها وتباين المجتمعات او الجماعات التي تتفاعل ضمنها.

ابعاد الحراك الاجتماعي:-

1. الزمن : الذي يستغرقه الحراك ، فقد يتم الحراك في جيل معين بذاته او في عدة اجيال كما في التحولات الكبرى و الاجتماعية الاقتصادية والسياسية ، والحراك الاعتيادي غالباً ما يستغرق جيلاً كاملاً وهي الفترة الزمنية ذاتها التي تتغير من خلالها التصاميم الاساسية للمدن في الحالات الاعتيادية المستقرة ، او مدى قدرة هذه التصاميم على تلبية متطلبات الحياة المختلفة والمستجدة.
2. السياق الذي يتم داخله الحراك : او المجال الذي يحدث فيه الحراك في التنظيمات الرسمية او في المجتمع المحلي او في البيئات المختلفة ريفية كانت ام حضرية.
3. وحدات النقل: ان كانت على صعيد وحدة الفرد ، او وحدة الاسرة ، او وحدة الطبقة الاجتماعية.
4. اليات التنقل وعوامل مروقة: أي مسببات الحراك و العوامل الكامنة وراءه والتي تؤثر في المكانة الاجتماعية ، سواء في مجال الانجاز العملي او الارتقاء العلمي او التدرج المهني او مع كبر السن (1) ومن شأن هذه الابعاد التأثير في ما سيتخذه الحراك من اساليب ضمن البيئة او الوسط الاجتماعي الذي يتفاعل فيه ومن هذه الاساليب.

اساليب الحراك :-

1. تغيير المهنة : يحدث الحراك في كثير من الاحيان بسبب تغيير المهنة من الاب الى الابن والتي تعتمد هذه على الفرص الاقتصادية والاجتماعية المتاحة التي تمكن الابناء من تغيير المهن التي ورثوها عن اباؤهم ، وذلك لضعف رغبة الابناء في الاستمرار على مهن الاءاء ، او نفورهم منها ، او ترفعهم عليها ، لسبب او لآخر.
 2. الحراك ضمن المهنة الواحدة التي تحقق تطورا ومكانة اقتصادية واجتماعية لاصحابها لدى الاسرة الواحدة ، التي تعتر بمهنتها وتستمر على انتمائها وولائها لها.
 3. الارتقاء في السلم الوظيفي والمهني ، والذي لا يعني بالضرورة تغيير المكانة الاجتماعية او انه متاح لكل الافراد.
 4. الانتقال الى مراكز القيادة في الجماعات او التنظيمات او المجتمعات المحلية ، وغالبا ما يصاحبه تغيير في المكانة الاجتماعية.
 5. الوظائف التي يؤديها الفرد في الجماعة والادوار المناطه به وموضعه في شبكة الاتصال وقدرته على استعمال مكانته الاجتماعية⁽³⁾.
- الحراك و المجتمع:-

يقسم علماء الاجتماع المجتمعات من زاوية الحراك الاجتماعي الى

1. المجتمعات ذات النسق التنظيمي المغلق : الذي يعتمد على المتغيرات الداخلية القائمة على الافتراضات العقلانية التي تتخذ لها نماذج مختلفة مثل نموذج الاهداف ونموذج اتخاذ القرارات ، و الافتراضات اللاعقلانية ، التي تضم بين جوانبها نموذج العلاقات الانسانية ونموذج التوازن و النموذج المهني .

2. المجتمعات ذات النسق التنظيمي المفتوح القائم على نموذجين اساسيين هما

- أ- نموذج النسق الطبيعي
- ب- نموذج التنظيم البيئي⁽³⁾

من هذين النمطين من الانساق يمكن الخروج بفرضية فرعية مفادها كلما كان النسق التنظيمي مفتوحا كلما كان الحراك الاجتماعي اكثر فاعلية ، واكثر قدرة على تغيير مواضع الافراد والجماعات ضمن المجال الاجتماعي الواحد.

اما فرضية البحث الاساسية فهي: كلما امكن التنبؤ بمجريات الحراك الاجتماعي كلما كانت التصاميم الاساسية للمدينة اكثر كفاءة واطول عمرا. هنا يراد بذلك النظرة التخطيطية الثاقبة وبعيدة المدى وخاصة في المجال الاجتماعي.

انماط الحراك الاجتماعي :-

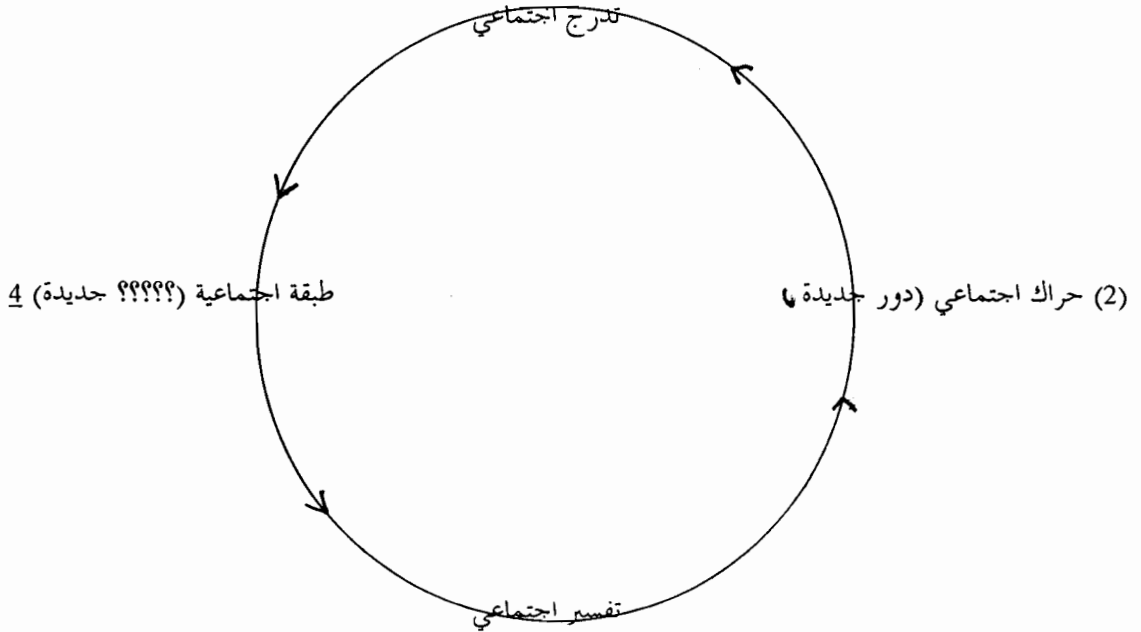
للحراك الاجتماعي نمطين اساسيين هما :-

1. الحراك الرأسي: ويعني الحركة الى الاعلى او اسفل السلم الطبقي ، وهو الذي ينطوي على التحرك من فئة او طبقة الى اخرى و تكوين فئة او طبقة جديدة بسبب احتدام حدة الصراع الطبقي.
2. الحراك الافقي: وهو الذي يشير الى كل انماط الحراك الاخرى التي لا ترتبط بتغيير الطبقة الاجتماعية، مثل الانتقال من مكان الى اخر اي من الريف الى المدينة ، او بالعكس (الحراك الجغرافي) او الانتقال من حي شعبي فقير الى حي شعبي افضل او بالعكس على ان الطريقه الملائمة لدراسة الانتقال او الحراك الاجتماعي تتولد من النظام الذي يحدد موقع الفرد في الوسط الاجتماعي ذلك ان هذا النظام لا يوضح علاقته الفرد من حيث موقفه بالافراد الاخرين فحسب بل يوضح ايضا علاقة الفرد بالجماعات التي ينتقل منها او اليها⁽⁴⁾ ومن اجل الاحاطة الناضجة لمضامين الحراك الاجتماعي ومردوداته لابد من معرفة البنى الطبقيّة التي تقع فيها عملية الحراك ، ولا يشترط في الطبقيّة ان تكون مرتكزة على المقاييس الاقتصادية و الفوارق الشاخصة بين الاغنياء و الفقراء ، وانما يمكن تقسيم المجتمعات الى شرائح وطبقات على وفق المعايير السياسية ، لا سيما عندما تكون المراتب الاجتماعية مصنفة بحسب درجة سلطتها و يمكن تقسيم الافراد و الجماعات الى شرائح وطبقات متفاوتة بحسب مقاييس الحرفة⁽⁵⁾

فالمجتمعات القائمة على الفوارق الطبقيّة التقليدية الموروثة والثابتة يكون الحراك الاجتماعي نفسه فيها مقيدا بلا حراك تقريبا ، لان تحديد المكانات الاجتماعية اتخذ لنفسه قالباً معيناً، حتى على مستوى الحياة السياسية مثل مجلس اللوردات في بريطانيا الذي يقتصر الدخول والانتماء اليه على الطبقة الارستقراطية المتنفذة ماليا والمهيمنة اقتصاديا.

وللحراك الاجتماعي ارتباط وثيق بالتراتب او التدرج الاجتماعي الذي يعبر عن ظاهرة تدرج الافراد والفئات في الاوضاع والادوار والوظائف الاجتماعية داخل البناء الاجتماعي وما يصاحبه هذا التدرج من تباين وما ينطوي عليه من فروق واوضاع تقترضها حتميات المجتمع على كل درجة من درجات السلم الاجتماعي، وهو وليد التفاعل الاجتماعي الذي يفترض على افراد وفئات المجتمع القيام بادوار ونشاطات تتباين فيما بينها وتتنوع بتنوع حاجات المجتمع وتتفاعل في غاياتها البعيدة فالمزارع والصانع والجندي والتاجر يؤدون وظائف متفاضلة ومتكاملة ويرجع هذا التفاضل الى معايير التقييم الاجتماعية⁽⁶⁾

ان هذا التدرج يترك المجال مفتوحا للانتقال من طبقة الى اخرى ، وهو اكثر تعبيراً من التداخل والحراك بين فئات المجتمع و من مصطلح الطبقيّة الاجتماعية التي يعرفها عالم الاجتماع تالكوت بارسونز: بانها نظام تدرجي ينتمي اليه افراد يختلفون في المزايا المادية والايديولوجية وهذه الاختلافات تحدد نوعية سلوكهم وتتأثر بالواقع الاجتماعي⁽⁷⁾



ويعتقد (سروكن) ان هناك ظاهرتين متميزتين تتعلقان بخصائص الهرم الطبقي

الاولى : هي ارتفاع او انخفاض الجماعة الاجتماعية في الهرم.

الثانية : هي مقدار الفوارق الاجتماعية بين الافراد داخل الجماعة.

فالظاهرة الاولى تهتم بمقدار الثروة والقوة والسمعة التي تتمتع بها الجماعات الاجتماعية ، اما الظاهرة الثانية فنهتم بتحديد ثروة ونفوذ ومكانة الفرد في الجماعة الاجتماعية، والوقائع تشير الى ان الحراك الاجتماعي يحدث في كل الجماعات بدرجات متفاوتة غير ان حدوثه يعتمد على وجود عوامل تشجعه او تعرقله بناء على ظروف المجتمع ومعطياته وطبيعة المرحلة الحضارية التاريخية التي يمر بها⁽⁸⁾.

وتدل الشواهد التاريخية والمعاصرة على ان المجتمعات الانسانية تميل دائما الى اقامة تفرقة بين الافراد بحيث يحتلون مكانات مختلفة ومتباينة على مقياس يعكس قيما متفاوتة ، ولعل اشهر واقدم تفرقة هي تلك التي تمت بين الرجل والمرأة بايولوجيا اول ، واجتماعيا ثانيا ، وان ظاهرة التدرج ظاهرة عامة في المجتمعات المتأخرة تكنولوجيا.

قنوات الحراك الاجتماعي:-

يرى البعض من علماء الاجتماع ان هناك ثلاث قنوات للحراك الاجتماعي ، هي العمل و التعليم و النشاط السياسي ، غير ان قنوات هذا الحراك تمتد كما (سروكن) الجيش والدين والمنظمات الاقتصادية والمهنية التي تعتبر بمثابة الجسور الاساسية المساعدة على العبور الاجتماعي السريع ، فهذه المؤسسات هي تختار الافراد وتوزعهم على مراكزها الوظيفية وتحدد من هم الذين يرتفعون او ينخفضون في السلم الاجتماعي اضافة الى قيام هذه المؤسسات (الاسريه والتربوية والدينية والاقتصادية والسياسية والعسكرية) ويتوزع الافراد على الشرائح الاجتماعية التي تتحد منها واخيرا فانها تيسر او تعسر عملية الانتقال الاجتماعي العمودي ، بناء على طبيعة ظروفها وسياساتها ، ودرجة تضامنها بعضها مع بعض ، من اجل اهداف مشتركة (9)

الاثار الايجابية والسلبية لظاهرة الحراك الاجتماعي: هناك اثار وظيفية مفيدة (ايجابية) واثار لا وظيفية مضره (سلبية) لظاهرة الحراك الاجتماعي ، فمن الاثار المضره والهدامة التي تركتها ظاهرة الحراك الاجتماعي العمودي النازل على الافراد هي تعرضهم الى العزلة الاجتماعية والاعياء الذهني والمرض الاجتماعي والعقد النفسية بل حتى الانتحار اضافة الى تفكك الجماعات التقليدية التي ينتمي اليها الافراد نتيجة خروج بعضهم منها ودخولهم الى جماعات اخرى. اما فوائد الانتقال الاجتماعي فهي كثيرة ومتنوعة اهمها شيوع وبلورة مبادئ وقيم الديمقراطية والعدالة الاجتماعية وتشجيع الافراد على الاتجاز المادي والعلمي والمهني (ظاهرة التشبث الفردي) الذي من شأنه ان ينمي ويطور المجتمع وتخفيف حدة وصلادة الحواجز النفسية والاجتماعية بين فئات وطبقات المجتمع كما تؤدي ظاهرة الانتقال الاجتماعي العمودي الى تغير اعضاء الجماعات والمؤسسات بين فترة واخرى ومثل هذا التغير يمنحها قوة وحيوية متجددة تزيد كفاءتها وفعاليتها في المجتمع (10) فضلا عن ان انفتاح الابواب امام الافراد لغرض الانتقال الى الاوضاع التي يريدون الوصول اليها من شأنه تعزيز الذات والشعور بالفخر والرضاء والقناعة ومن ثم الشعور بالاعتماد الجدي للمجتمع وبالتالي الولاء وهذا الامر مرهون لحد كبير بنوعية النظام الاقتصادي السائد في المجتمع والذي يذكرني بقول الفيلسوف (بول تيليش) الرأسمالية تتجح تماما في تحقيق شجاعة ان يكون المرء ذاته ولكنه يفقد شجاعة المشاركة.

والاشتراكية تحقق شجاعة المشاركة، وتعجز عن تحقيق شجاعة ان يكون المرء ذاته (11)

عوامل الحراك الاجتماعي الاساسية:-

هناك عاملان اساسيان يؤديان الى الحراك الاجتماعي في المجتمعات البشرية هي :-

1. التغير في كمية الطلب على المراكز الاجتماعية التي تحتاج الى الخبرة و المهارة الفنية ، بتغير المجتمع وتحوله ماديا وتكنولوجيا.
2. التغير في الاشخاص الذين يعرضون المهارات والخبرة الفنية .

وقد اشتركت الطبقة الحاكمة في المجتمع الصناعي الحديث للمرة الاولى في مساعدة العوام على انقاذهم من براثن الجهل والامية ، الامر الذي ادى الى تنويرهم وتجريدتهم ، وساعدهم على تحقيق اهدافهم المنشودة في الحياة ومنحهم هدية الانتقال من مركز طبقي الى مركز اخر او من طبقة الى اخرى شريطة ان يعتمد هذا على الانجازات الفنية والعلمية والادبية التي يحققها ابناء هذه الطبقة (12).

وقد تحدث عملية التراتب في بعض المجتمعات بطريقة رسمية واضحة وقد تخضع لجزاءات دينية كما هو الحال في نظام الطائفة الهندي بل قد تجد تدعيما او سندا قانونيا في مجتمعات اخرى وبالمثل يمكن ترتيب الافراد على مقياس او تسلسل يعبر عن مقدار ممتلكاتهم الخاصة كالقوة السياسية والارض النفوذ. على ان هناك اتجاهين اساسيين يستعملان في ترتيب الافراد طبقا للمستويات الاجتماعية فالاتجاه الاول يقوم على عدد من المعايير الموضوعية كالدخل والممتلكات والتعليم او القوة التي يمتلكها الفرد اما الاتجاه الثاني فيقوم على عدد من المعايير الذاتية او السيكلوجية كالمشاعر التي يحملها الفرد نحو الطبقة التي ينتمي اليها او الاراء التي لدى الآخرين حول الموقع الطبقي الذي يشغله شخص معين. اما معدلات الحراك الاجتماعي فيمكن حسابها على مستوى الحياة المهنية للفرد الواحد، او

على مستوى الاجيال المختلفة (13) وهناك دراسات مختلفة متعددة ميدانية في مواقع متباينة اتضحت من خلال اهمية ظاهرة الحراك في مسيرة تقدم المجتمعات.

دراسات ميدانية:-

ففي دراسة عن الحراك الاجتماعي بين الاجيال تناولت ثماني عشرة دولة اتضح ان حركة ابناء العمال المهرة الى وظائف الياقات البيضاء كانت حركة واسعة النطاق بحيث فاقت التصورات لدى العديد من علماء الاجتماع، ففي ايطاليا استطاعت نسبة معينة من ابناء العمال اليدويين من 10-15% الالتحاق بوظائف الياقة البيضاء، ومع ذلك اتضح انه في تسع دول من ثماني عشرة دولة كان معدل الحراك الاجتماعي عاليا بشكل ملحوظ اذ كان ينحصر بين 24-31%، ومع ان الولايات المتحدة الامريكية لا تتميز بمعدل حراك عال جدا، الا انها تشارك الدول المتقدمة في ارتفاع معدل الحراك الاجتماعي فيها، وكذلك لوحظ ان الهند التي يظن انها نموذج للجمود الطبقي قد شهدت معدلا عاليا نسبيا من الحراك (27%) على الرغم من ان هذه النسبة تعبر فقط عن عينة حضرية اخذت من مدينة بونا Poona الصناعية.

ولعل من اكثر النتائج اثاره للدهشة هي تلك التي تتعلق بالحراك الاجتماعي الهابط - طبقا لنفس الدراسة - ، فقد لوحظ انه في كثير من الدول كانت حركة ابناء الذين يشغلون وظائف الياقة البيضاء الى المهن اليدوية حركة لا تقل اتساعا عن حركة المتجه من المهن اليدوية الى وظائف الياقة البيضاء ، ففي ثلاث دول (هولندا، بورتوريكو، بريطانيا) تحول اكثر من 40% من ابناء وظائف الياقة البيضاء الى المهن اليدوية الصناعية (14).

ومن الامور الواضحة ان اللتتمية الاقتصادية وزيادة الدخل القومي ، والفردية ، وتحقيق الامان الاقتصادي ثم اتاحة فرص التعليم العالي.

الحراك و الظروف الاجتماعية:-

كل هذه الامور في نهاية الامر تحدد شكل الصراع الطبقي (التدرج الاجتماعي) لانها تمكن المستويات الاجتماعية الدنيا من تبني منظورات بعيدة المدى ، ومن ثم نتيج لهم الدفاع عن وجهات نظر سياسية معينة (15) ان الحراك الاجتماعي الحقيقي هو الانتقال الافقي الذي يعبر عن دينامية المجتمع ، ويستجيب لكل التغيرات التي تحدث نتيجة لتغير ابعاد العلاقات ، و تذويب الفوارق بين الطبقات ، التي تعتبر من اولى اهداف الانتقال الاجتماعي الذي يمكن ان يحدث في المجتمع في فترة معينة من الزمن لان مثل هذا الاجراء يعدل من صورة البناء الاجتماعي ويعدل من الابعاد التشريحية في جسم المجتمع ويعدل في نفس الوقت الابعاد المقبلة على اساس الكفاءة المتزايدة للدولة للاضطلاع باللتتمية الاقتصادية والاجتماعية (16).

ومن القضايا المهمة التي اثارها عالم الاجتماع الالماني ماكس فيبر عن ماهية المجتمع الذي قد يؤدي الى ظهور شكل معين من اشكال التدرج ، هي : انه في فترات الاستقرار الاقتصادي يميل نسق التدرج الى الاستناد والى اعتبارات الهيبة ، بينما نجد في فترات التغير الاقتصادي السريع يميل التدرج الى الاعتماد بدرجة كبيرة - على عوامل اقتصادية طبقية ، وفي ذلك يفترض (فيبر) انه من الملاحظ ان كل حدث تكنولوجي او تحول اقتصادي يهدد نمط التدرج المستند الى المكانة ومن ثم يدفع الموقف الطبقي الى المقدمة (17) والان لابد من الوقوف على العلاقة الجدلية بين الحراك الاجتماعي والنسيج الحضري للمدينة.

الحراك الاجتماعي والتغير:-

فالمدينة (أي مدينة كانت) الى جانب كونها ظاهرة اجتماعية حضرية ، فانها تعد نظاما قائما بذاته ، و مترابط مع الانظمة الاخرى (البيئات الحضرية والريفية المجاورة عن قرب او بعد) ، وهذا النظام معرض في كثير من جوانبه لعوامل التغير ، وهذه العوامل يؤثر بعضها ببعض سواء كانت مادية ام معنوية ، طبيعية او بشرية ، غير انها ترتبط بالانسان او لا واخيرا ، (18) فكلما تغيرت اوضاع الناس ،

كلما تعرضت فرص استعمال الارض وخصائصها واهدافها الى التغير ايضا والعكس صحيح كلما تغيرت المعالم العمرانية ضمن الوسط الحضري كلما تعرضت انماط السلوك الاجتماعي الى التغير اياً كانت درجته بطيئة ام سريعة وما مراحل التغير في النسيج الحضري لمدينة بغداد الا استجابة لما طرأ من تغيير و تطوير على قطاعات و شرائح من ساكنيها ، فالتغير الاجتماعي ينطوي على كل تغيير في التركيب السكاني للمجتمع وتطور، او في بناءه الطبقي او في انظمته الاجتماعية او في انماط العلاقات او في القيم و المعايير التي تؤثر في سلوك الافراد التي تحدد مكانتهم وادوارهم في مختلف النظم الاجتماعية التي ينتمون اليها فضلاً عن ان التغير الذي يصيب جانباً من جوانب المجتمع لابد ان يتردد صده في بقية جوانب المجتمع ولكن بدرجات متفاوتة⁽¹⁹⁾ و ترى المدرسة البنوية الوظيفية والمدارس الاخرى الاجتماعية التي سبقتها ، كالمدرسة العضوية والمدرسة الميكانيكية. ان قضية التغير التي هي اساس الحراك تعودنا بالضرورة الى تتبع مراحل التغير في النسيج الحضري لمدينة بغداد المجسدة بالتصاميم الاساسية التي وضعت لها.

مراحل تغير النسيج الحضري لمدينة بغداد

اولا - تصميم عام 1936

سنعتبر هذا التصميم من اولى التصاميم في العشرينات وقد وضع هذا التصميم اصلاً ليتلائم مع النمو الحضري المتوقع لمدينة بغداد ولاستيعاب سكاني كحد اعلى مقدارة نصف مليون نسمة غير ان نفوس بغداد تجاوزت هذا الرقم والتصميم ما زال في منتصف الطريق سنة 1947.

ثانيا - تصميم عام 1956

بعد التغيرات التي وقعت في الخمسينات وخاصة بعد ارتفاع عائدات النفط ابتداء من عام 1952 فقد شهدت ارتفاعاً مفاجئاً من ثلاثة ملايين دينار عام 1949، الى 50 خمسين مليون دينار عام 1953 وبعد تاسيس مجلس الاعمار عام 1959 الذي اخذ على عاتقه تطبيق خطة الطموحة لتنفيذ الخطط الاقتصادية التي شملت مشاريع صناعية وزراعية ذات نطاق واسع شرع بوضع تصميم اساسي جديد لها وتم وضع هذا التصميم على اساس ان بغداد ستستوعب 1.5 مليون ونصف نسمة كحد اعلى لغاية عام 2006 غير ان التعداد السكاني للمدينة وصل الى هذا الرقم بعد مرور 10 سنوات فقط. حيث ان خلال تلك السنوات ادت زيادة عائدات العراق من النفط الى رفع المستوى المعاشي الاقتصادي للمواطنين وارتفعت الدخول ونشطت حركة المشاريع والفعاليات الاقتصادية وتغير وضع المهن الحرفية وحركة العمران في بغداد بالذات (20) كل ذلك ادى الى فرز ايدي عاملة اضافة الى المساهمات في عملية التنمية وهنا لعبت الهجرة من الريف الى مدينة بغداد دوراً واضحاً في زيادة عدد سكانها وظهور احياء وازقة تحمل مسمياتها انتماء المهاجرين الاقليمي والمكاني لها ناهيك عن الهجرة الواسعة التي زحفت من جنوب العراق بسبب تردي الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية هناك.

مراكز الاستقطاب السكاني:-

تعتبر منطقتي الاعظمية والكاظمية من مراكز الاستقطاب الرئيسية السكانية في بغداد لانهما منطقتين مقدستين يتجمع حولها السكان ، الى جانب ظهور مراكز استقطاب اخرى على جانبي الكرخ والرصافة على هيئة محلات ، مثل الكرخ ، والجعفر ، والشوكة ، والشيخ معروف ، (في الكرخ) والحيدر خانة، والميدان، والمهدية، والفضل، وباب الشيخ (في الرصافة).

وقد كان التضمين الثاني 1956 استجابة مباشرة او غير مباشرة للزحف العمراني غير المخطط او احتواء له بشكل او يآخذ عند ظهور مدينة الحرية ومدينة البياع والوشاش في الكرخ والكسرة والقاهرة والكرادة الشرقية في الرصافة.

اما بعد ثورة الرابع عشر من تموز 1958 وكذلك في الستينات حتى ثورة السابع عشر من تموز وما بعدها فقد ظهر تصميمان اساسيان لمدينة بغداد 1959، 1967 وبعد ان نشطت حركة جمعية الاسكان التعاونية وقروض المصرف العقاري ، وتشجيع الدولة لذوي الدخل المحدود ومساعدتها لهم بعدد امتدت وظهرت الاحياء السكنية الجديدة الشاخصة في الوقت الحاضر، وقد كان التصميم الانمائي المتكامل لسنة 71 - 1972 امتداداً للتصميمين السابقين حيث بلغت الموجة العمرانية الاسكانية اوجها

فجاءت الاحياء السكنية تجسيدا لشرائح اجتماعية ووظيفية متميزة واصبحت مسمياتها في الوقت الحاضر تدل على بينتها الاقتصادية والاجتماعية المترفة ، مثل المنصور والحارثية وحي الجامعة وغيرها ، او مدن المهاجرين اذا جاز التعبير كما هو الحال في مدينتي صدام والشعلة ، وهذه كلها مرتبطة بشكل او باخر بالية الحراك الاجتماعي في مدينة بغداد العاصمة.

في ضوء ما تقدم يمكن تصوير العلاقة الترابطية بين الحراك الاجتماعي والتصاميم الاساسية لمدينة بغداد بالنقاط التالية وهي الخاتمة: -

الخاتمة والاستنتاجات:-

اولاً: اتضحت معالم انتعاش الدولة في العراق في الخمسينيات ، وهي مرحلة Stereo Type اذ مرت خلال الثلاثينيات والاربعينيات بمرحلة النشوء والتكوين بعد الاستقلال ، وهي مرحلة Proto Type ثم مرحلة التجويد التي شهدت تطوراً ملحوظاً ودقيقاً في توسع الجهاز الاداري ، وظهور المؤسسات الحكومية ذات المهام المختلفة ، التي استجذبت بما استجد في المجتمع العراقي من حاجات مضافة ومتكاملة ، وهذا بدوره قاد الى ظهور فئة الموظفين الحكوميين ، وقد كانت فئة لها مكانتها التي يشار اليها بالبنان.

ثانياً: بسبب حركة النشاط الاقتصادي والفعاليات المهنية المختلفة. فقد شهدت العديد من المهن الحرة الحرفية تطوراً كبيراً در على اصحابها الربح المادي والمكانة الاجتماعية ، كالحداثة ، والنجارة ، وقطاع التشييد ، وحركة النقل والتجارة وغيرها من المهن ، الامر الذي وضع في ايدي اصحاب هذه المهن القدرة المادية على تغيير واقعهم السكني الموروث البائس.

ثالثاً: ان مواليد الاربعينات وواخر الثلاثينات كونوا طلائع اصحاب المهن الثقافية والشهادات الجامعية وقد تجسد ذلك في نقاباتهم المهنية مثل نقابات نقابة المحامين والمعلمين والمهندسين والزراعيين وذو المهن الطبية وغيرهم ، فكانوا رؤوس رماح التغيير الاجتماعي والاسكاني في بغداد بالدرجة الاولى وظهرت الاحياء السكنية التي تحتل مسميات هذه المهن الخدمية.

رابعاً: التغييرات السياسية الجذرية التي شهدتها العراق ، منذ ثورة الرابع عشر من تموز وخاتمتها ثورة السابع عشر من تموز ، اتاحت الفرصة لابناء الطبقات الفقيرة من الصعود لما لهم من مؤهلات علمية وقيادية وغيرها.

خامساً: انفتاح المؤسسة العسكرية في العراق امام جميع فئات وشرائح الشعب العراقي ومنحهم فرصة الارتقاء في الرتب العسكرية ، ومالها من مكاسب وامتيازات فكانت لهم احياء خاصة بهم مثل : حي الضباط في اليرموك وحي الضباط في زبونة.

سادساً: ان العديد من احياء بغداد السكنية الحديثة تشير الى هوية ساكنيها كحي العدل (للمحامين والقضاء) وحي الجامعة (لاساتذة الجامعة) وحي الاطباء في العامرية وحي البنوك (للموظفي المصارف) وحي التربية (لنقابة المعلمين) وحي العامل وحي الميكانيك وغيرها من الاحياء.

سابعاً: انطلاقاً من القضية الاساسية التي اعتمدتها هذه الدراسة فان من اولى مهام علم الاجتماع وفي مجال التخطيط الاجتماعي هو التنبؤ وتصور ما سيكون عليه المستقبل على وفق الظواهر الاجتماعية المستجدة، فالحراك الاجتماعي في التسعينيات بعد الحصار شهد تسارعاً قوياً في العراق عموماً وفي بغداد على وجه الخصوص وان هناك فئات وصلت الى ما وصلت اليه من الغنى المفرط ، وان انشغال المجتمع بثقل المحنة الجديدة التي يعاني منها ، وفر الفرصة لهذه الفئات من الصعود والارتقاء غير المتوقع ، وغير المشروع بالمعايير القيمية الاجتماعية ، فجعلها تنبؤ بمكانات اقتصادية عالية جداً ، لا تتناسب مع ما لها من مكانة اجتماعية وستجدهذه الفئات صعوبة في ان ترفل بالمكانة الاجتماعية المرموقة التي تتناسب مع وضعها الاقتصادي الجديد ولا بد من توقع ما سيحدث لهذه الفئات من نزول في السلم الاجتماعي ، عندما يصحو المجتمع ويستعيد صحته وعافيته ويضع لكل قدر قدره وعندما تعود مياه المجتمع الى مجاريها الطبيعية غير الملوثة.

- الهوامش والمصادر:-
- 1 - نجم عبد جويد، المردودات الاجتماعية لتخطيط الاحياء السكنية الحديثة، رسالة ماجستير. 1986 مركز التخطيط الحضري والاقليمي ص 33 - 34.
 - 2 - نفس المصدر، ص 35 - 36.
 - 3 - د. محمد علي محمد، علم اجتماع التنظيم. دار المعرفة الاجتماعية بالاسكندرية 1960 ص 264.
 - 4 - ج. اوسيوف، قضايا علم الاجتماع. ترجمة. سمير نعيم احمد. دار المعارف بمصر 1970 ص 227 - 231.
 - 5 - د. احسان محمد الحسن، رواد الفكر الاجتماعي. دار الحكمة للطباعة. بغداد 1991 ص 409 - 410.
 - 6 - نخبة من الاساتذة المصريين والعرب. معجم العلوم الاجتماعية. الهيئة العامة للكتب 19....؟ ص 136 - 137.
 - 7 - دنكن ميشيل، ترجمة الدكتور احسان محمد الحسن، معجم علم الاجتماع، دار الرشيد للنشر، بغداد 1980 ص 307.
 - 8 - المصدر الرابع - قضايا علم الاجتماع - ص 411 - 413.
 - 9 - نفس المصدر الرابع ص 414.
 - 10 - المصدر نفسة ص 414 - 415.
 - 11 - مجلة عالم الفكر، المجلد العشرون - العدد الثاني - الكويت 1989 ص 170.
 - 12 - د. احسان محمد الحسن، علم الاجتماع دراسة نظامية، مطبعة جامعة بغداد 1976.
 - 13 - اليكس انكلر، مقدمة في علم الاجتماع. ترجمة د. محمد الجوهرى وعلياء شكري، دار المعارف بمصر 1975 ص 152 - 156.
 - 14 - M. Lipset, Bendix. Social Mobility In Industrial Society. University Of California Press. 1959. P. 111.
 - 15 - M. Lipset - Positcal Man. N.Y. Doubleday 1960 Pp. 51 - 54.
 - 16 - د. محمد عاطف غيث، دراسات في علم الاجتماع. التطبيقي، دار المعرفة الجامعية في الاسكندرية 1989 ص 111.
 - 17 - د. زيدان عبد الباقي، ركائز علم الاجتماع، دار المعارف بمصر 1973 ص 160.
 - 18 - Max weber. The theory of social and economic organization. Free press N. Y. 1957. P. 282.
 - 19 - د. زيدان عبد الباقي، علم الاجتماع الحضاري. مكتبة القاهرة 1972 ص 140.
 - 20 - المنظور العمراني لمدينة بغداد د. كامل كاظم بشير. سهام صديق (اهمية الجوانب الاقتصادية في تخطيط مدينة بغداد) مطابع دار الحكمة 1989 ص 201.

Abstract

Conclusion

The impact of social mobility upon the urban fabric of Baghdad

Urban fabric especiolly in metropoletain city such as Baghdad ,depends on different patterns of its social mobility social mobility means ((The translation of individuals within social frome the research aimed to Analyse :

- 1-The dimensions of sochal mobility in the light of its can cept .
- 2-methodoloyy of mobility .
- 3-society 8 social mobility .
- 4-patterns of social mobility.
- 5-chanales of mobility .
- 6-Essiential factors of social mobility .
- 7-field studies about the subject .
- 8- Conditions of social mobility .
- 9-changging phases of baghdad meister plans contexed with social mobility